

تفسير البحر المحيط

@ 117 @ وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى من الطور ، وكتب اﷲ له في الألواح .
والأمر المقضي إلى موسى : الوحي الذي أوحى إليه . والخطاب لرسول اﷲ صلى اﷲ عليه وسلم)
، يقول : وما كنت حاضراً المكان الذي أوحينا فيه إلى موسى ، ولا كنت من جملة الشاهدين
للوحي إليه ، أو على الوحي إليه ، وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات ، حتى نقف من جملة
المشاهدة على ما جرى من أمر موسى في ميقاته ، وكتب التوراة له في الألواح ، وغير ذلك .
فإن قلت : كيف يتصل قوله : { وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } بهذا الكلام ، ومن أي
جهة يكون استدراكاً ؟ قلت : اتصاله به وكونه استدراكاً من حيث أن معناه : ولكننا أنشأنا
بعد عهد الوحي إلى عهدك قروناً كثيرة ، فتناول على آخرهم ، وهو القرن الذي أنت فيهم .

{ الْعُصُفُورُ } : أي أمد انقطاع الوحي ، واندرست العلوم ، فوجب إرسالك إليهم ،
فأرسلناك وكسبناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى ، كأنه قال : وما كنت شاهداً لموسى وما
جرى عليه ، ولكننا أوحيناك إليك ، فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة النظرة ، ودل به على
المسبب على عادة اﷲ في اختصاره . فإذن ، هذا الاستدراك شبيه للاستدراكين بعده . { وَمَا
كُنْتَ تَأْوِيهِمْ } : أي مقيماً في أهل مدين ، هم شعيب والمؤمنون . { تَتَّبِعُوا آلَ يَاقِينَ }
* { أَيَا تَدْرِكُونَ } : تقرأ عليهم تعلماً منهم ، يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه .
ولكننا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها . { إِذْ نَادَىٰ نَارًا } ، يريد مناداة موسى ليلة
المناجاة وتكليمه ، ولكن علمناك . وقيل : { فَتَطَاوَلَ عِلَاقَتُهُمُ الْعُصُفُورُ } ،
وفترت النبوة ، ودرست الشرائع ، وحرف كثير منها ؛ وتام الكلام مضمّر تقديره : وأرسلناك
مجدداً لتلك الأخبار ، مميزاً للحق بما اختلف فيه منها ، رحمة منا . وقيل : يحتمل أن
يكون المعنى : وما كنت من الشاهدين في ذلك الزمان ، وكانت بينك وبين موسى قرون تناولت
أعمارهم ، وأنت تخبر الآن عن تلك الأحوال أخبار مشاهدة وعيان بإحائنا ، معجزة لك . وقيل
: تتلو حال ، وقيل : مستأنف ، أي أنت الآن تتلو قصة شعيب ، ولكننا أرسلناك رسولاً ،
وأنزلنا عليك كتاباً فيه هذه الأخبار المنسية تتلوها عليهم ، ولولاك ما أخبرتهم بما لم
يشاهدوه . .

وقال الفراء : { وَمَا كُنْتَ تَأْوِيهِمْ } في أيهل مدين مع موسى ، فتراه وتسمع كلامه ،
وها أنت { تَتَّبِعُوا آلَ يَاقِينَ } * { أَيَا تَدْرِكُونَ } : أي على أمتك ، فهو منقطع . انتهى . قيل
: وإذا لم يكن حاضراً في ذلك المكان ، فما معنى : { وَمَا كُنْتَ تَأْوِيهِمْ } الشَّاهِدِينَ ؟

فقال ابن عباس : التقدير : لم تحضر ذلك الموضع ، ولو حضرت ، فما شاهدت تلك الوقائع ، فإنه يجوز أن يكون هناك : ولا يشهد ولا يرى . وقال مقاتل : لم يشهد أهل مدين فيقرأ على أهل مكة خبرهم ، ولكننا أرسلناك إلى أهل مكة ، وأنزلنا إليك هذه الأخبار ، ولولا ذلك ما علمت . وقال الضحاك : يقول إنك يا محمد لم تكن الرسول إلى أهل مدين ، تتلو عليهم آيات الكتاب ، وإنما كان غيرك ، ولكننا كنا مرسلين في كل زمان رسولاً ، فأرسلنا إلى مدين شعيباً ، وأرسلناك إلى العرب لتكون خاتم الأنبياء . انتهى . .

وقال الزمخشري : فإن قلت : كيف استقام هذا المعنى ، وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه ؟ قلت : القول هو المقصود بأن يكون سبباً لإرسال الرسل ، ولكن العقوبة ، لما كانت هي السبب للقول